الأدب والنكبة: قراءة في بنية الخطاب السردي

ناهض زقوت

تمهيد :

استشرف الأدب الفلسطيني النكبة وحذر من ويلاتها قبل سنوات من وقوعها، ورصد خيوط المؤامرة التي تحاك ضد الشعب الفلسطيني، منذ صدور وعد بلفور، وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين، والدعم البريطاني لليهود في التمهيد لإقامة الكيان الصهيوني، وكذلك تعرية الزعامات العربية والفلسطينية المتحالفة مع الانجليز، ومناصرة الزعامات الوطنية المحاربة للانجليز واليهود، كما شحذ الأدب الهمم وبث العزيمة في النفوس للثورة والمقاومة.

كان الأدب مرآة صادقة لواقع تمور فيه أحداث تنذر بخطب عظيم. فهذا الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود يقف مخاطبا الملك "سعود بن عبد العزيز" حينما زار فلسطين والمسجد الأقصى، قائلا (١):

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه

كأنه كان يقرأ من خلف ستار الغيب عام ١٩٣٥ لما سوف تؤول إليه الأوضاع السياسية في فلسطين. وعلى درب النبوءة التراجيدية، نجد الشاعر إبراهيم طوقان يستشرف يوما تشيب لهوله سود النواصي، يقول (٢):

أمامك أيها العربي يوم تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتك، لا تبالي بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الآداني وسار حديثه بين الأقاصي
فلا رحب القصور غدا بباق لساكنها ولا ضيق الخصاص
لنا خصمان: ذو حول وطول وأخر ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم فأتى وبالا وإذلالا لنا ذاك التواصي
مناهج للإبادة واضحات وبالحسنى تنفذ والرصاص

لقد كانت هذه القصيدة قبل ثلاثة عشر عاما من نكبة الشعب الفلسطيني، ونجد أنها تنبأت بالنكبة، ورصدت مناهج الإبادة التي تعد للعرب الفلسطينيين، وهي لم تخرج عما قررته المؤتمرات الصهيونية من أساليب لطرد الفلسطينيين (٣). وتم تنفيذها في عام ١٩٤٨، فالحسنى هي الهروب الطوعي خوفا من المذابح والقتل الجماعي كما حدث في دير ياسين. أما الرصاص فهو الوسيلة التي استخدمتها المنظمات الصهيونية ضد أهالي القرى والمدن الذين رفضوا

الهروب أو الخروج طوعا. وكان من نتائج النكبة ترحيل نحو مليون فلسطيني (٤)، واستشهاد ما يزيد عن (١٣,٠٠٠) عربي فلسطيني (٥).

ولم يكن الشعر وحده في ميدان الاستشراف والتنبؤ، إذ قدمت الرواية الفلسطينية رؤيتها الاستشرافية للنكبة، بالتحذير من الأدوات التي سوف تساهم في حدوثها، وخصوصا اليهود، فيقدم خليل بيدس في رواية (الوارث)، شخصيات يهودية تتصف بالاحتيال والنصب والكذب والتدليس، ولا تتورع عن استخدام أي أسلوب بهدف تحقيق مأربها، وإذا كانت الرؤية السطحية للرواية توحي بأنها رواية رومانسية، إلا أن رؤيتها العميقة تؤكد على الأساليب الخبيثة لليهود. فهذا (عزيز الحلبي) بطل الرواية يقع في غرام الراقصة اليهودية (استير)، ويغدق عليها الأموال والهدايا، في محاولة للوصول إلى قلبها، إلا أنها تدلس عليه الحب وتأخذ في استغلال ضعفه بمساعدة أصدقائها من اليهود للاستيلاء على أمواله التي سوف يرثها من عمه بعد وفاته، وتصف الرواية أساليب الخداع التي يمارسها المرابون اليهود لتحقيق غرضهم من عزيز (٦). فكانت هذه الرواية التي صدرت عام ١٩٢٠ بمثابة صرخة للعربي بصورة عامة للفلسطيني بصورة خاصة بأن يحذر من أساليب اليهود ومكرهم.

وفي عام ١٩٤٣ ينشر اسحق موسى الحسيني روايته (مذكرات دجاجة)، والتي عالجت الواقع الفلسطيني باستعمال الرمزية الموضوعية، حيث جاءت الرواية على لسان دجاجة تروي أحداث ووقائع حدثت معها بعد انتقالها إلى بيت جديد، ترصد من خلالها الواقع الفلسطيني وان لم يصرح الكاتب بذلك. ويبدأ إحساس الدجاجة بالخطر حينما شاهدت دجاجة من أترابها وجها غريبا قريب من ديارهم، فقالت الدجاجة "لا أطيق أن أرى غريبا في هذه الديار" (٧) دلالة على الانتداب البريطاني. وتستمر هذه المذكرات في سردها حتى تصل إلى ذروة الأحداث وكأنها تتنبأ بما ألم بالشعب الفلسطيني بعد النكبة. فبعد أن هجم العملاق على مأوى الدجاج بكل إرهاب وقسوة وألقى القبض على بعضهن، وتفرقت الأخريات هربا من مصير محتوم، فقالت الدجاجة تواسي الصغار وما تبقي من الدجاج "لقد حلت بنا مصيبة تجل عن العزاء والتواسي ... قال الأعزاء والدموع تنهمر من عيونهم إلى أين سيقت أمنا ونساؤنا ؟ فأخذت اترضاهم ... لعلهم نقلوا إلى مأوى أخر، فقالوا: كيف يشتت الشمل، ويحال بين الأم والأبناء" (٨). وهذا ما حدث حقا فقد فرقت النكبة بين الأهل وبين الأخ وأخيه وبين الأم وابنها. وبعد أن هدأت العاصفة عادت الدجاجة مع ما تبقى منهن إلى مأواهن، فوجدوا داخله وجوه غريبة، ففزعت الدجاجة وسألت "من هنا، فردت عليها أنثى قائلة: لا تجزعي أيتها الأخت، نحن مخلوقات مثلكم حملنا إلى هذا المأوى، ولم نعرف إلى أين نحمل" (٩). إن الكاتب هنا تنبأ بقيام الكيان الصهيوني، وبالعرب الذين سيبقون في أرضهم بعد النكبة وهم ما عرفوا بعرب ٤٨، وسيعيشون جنبا إلى جنب الذين حملوا من بلاد بعيدة ليستوطنوا

في فلسطين. إن الدلالات التي قدمتها الرواية واضحة رغم الأسلوب الرمزي الذي استخدمه الكاتب، فقد عبرت عن الواقع الفلسطيني، وكشفت عن أساليب الصهيونية في تهجير اليهود إلى فلسطين تمهيدا للاستيلاء عليها، وتنبأت بما سوف تؤول إليه الأحوال في فلسطين جراء تلك الأساليب ومساعدة الانجليز لهم، وهذا ما حدث بعد خمس سنوات.

وهكذا نرى أن الكاتب الفلسطيني أدرك منذ البواكير الأولى للإنتاج الأدبي الجدلية القائمة بين الأدب والواقع، فكتب عن واقعه وما يمور بداخله من وقائع وأحداث، واستشرف ما يمكن أن تؤول إليه هذه الوقائع بناء على رؤيته الصادقة وقراءته العميقة لواقعه، لهذا فالأديب الفلسطيني شاعرا أم روائيا أم قاصا أم مسرحيا، ما هو إلا محصلة لقراءاته الثقافية ولعلاقاته الاجتماعية مهما ادعى الذاتية في إبداعه.

*****

تمثل الآداب والفنون مصدرا هاما من أهم مصادر كتابة التاريخ الاجتماعي لحقبة زمنية ما ، لما تمثله من علاقات وصراعات وتناقضات تتشكل خلال هذه الفترة . فمثلا ثلاثية نجيب محفوظ ، وقصائد المتنبي ، ومسرحيات شكسبير ، وغيرها ... تعد دليلا ومصدرا للفترة الاجتماعية التي تناولتها . فقد أصبحت الرواية من اقدر الفنون على تناول الواقع لما تحتويه من مساحة شاسعة تعرض فيها جوانب المجتمع المتصارعة والمتناقضة والعلاقات الإنسانية الدائرة فيه (١٠).

ويدخل الأدب العربي الفلسطيني العصر الحديث من خلال تركيزه على الرواية التي أصبحت المركبة الذهبية للأدب في عالمنا المعاصر. وقد اتجهت الرواية إلى واقع الشعب الفلسطيني تستلهمه وتكتب تجربته . وبدأت رؤيتها المتصلة بالواقع الاجتماعي المتحرك ، تطرح موضوعات عن المنفى والمقاومة والأرض والإنسان ، كما اشتملت على تصوير وضعية الإنسان وهو يعاني الظلم والقمع والاضطهاد ، وتقدم نوازعه وما اعتلج في صدره تجاه جلاديه.

وعبرت الرواية الفلسطينية ، ومازالت ، عن تأثرها بالأوضاع السياسية للشعب الفلسطيني ، وهي كرؤية اجتماعية - تاريخية - سياسية ، كانت أكثر قدرة على التعبير عن المشاكل والقضايا التي ألمت بالفلسطيني ، وعلى تصوير نوازع النفس الإنسانية لديه ، وكذلك قدرتها على شحذ عزيمته أثناء كل محنة واجهها ، وهي في هذا لا تختلف عن أي عمل نضالي ، فهي بمثابة منشور ثوري تحريضي يحرض على العصيان والتظاهر. وبهذا الجانب كانت الرواية شهادة الفلسطيني أمام العالم ، عما يعانيه ويلاقيه في سبيل دفاعه عن نفسه وعن وطنه وعن حقه في الوجود (١١) .

في هذا العام (٢٠٠٨) ، يتواصل مشهد المأساة / النكبة بمرور ستين عاما على هذا المشهد ، ومازالت فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني ، ومازال اللاجئون في المنافي والشتات يلوكون مرارة الهجرة وفقدان الوطن ، ويحلمون بالعودة . ستون عاما خلت ولم تظهر بعد بوادر انفراج في أزمة اللاجئين وحقهم في العودة إلى أراضيهم وقراهم ومدنهم التي هجروا منها قسرا في عام ١٩٤٨. ومارس الفلسطيني ، وما يزال ، جميع أشكال النضال وعلى رأسها الكفاح المسلح سبيلاً لاسترداد أرضه ووطنه ، وأملاً في عودته إليها .

وقد تأثرت الكتابة الأدبية الفلسطينية بهذا الوضع المأساوي ، فأخذ المبدع الفلسطيني يربط بين المسألة الاجتماعية والمسألة السياسية في عمله الإبداعي ، لذا غيبت الروايات التي تناولت النكبة موضوعة الرمز ، فالمعطى الواقعي لا يتقبل الرمزية في الإبداع ، حيث كان المبدع مشحوناً بالصور والدلالات والتفاصيل والمآسي والمذابح ، فكان لابد من إفراغ تلك الشحونات فنياً وإبداعياً ، لهذا غاب الرمز ليحل محله تعبير قوي ومباشر عن النكبة وتداعياتها . وبذلك استطاع الروائي الفلسطيني أن يخلق لغة ووسائل للتعبير، تحمل بصمته أو رؤيته الفردية والجماعية في آن ، فهو لم يكتب الرواية من الخارج تصويراً أو تعبيراً أو تخيلاً ، إنما كتب من الداخل من قلب المعاناة ومن العيش على أرض الواقع أو من خلال الاكتواء بنارها (١٢) .

كتب الروائي الفلسطيني منذ النكبة وحتى عام ٢٠٠٩ ما يزيد عن (٦٠٠) رواية ، تناول في نحو ٨٠% منها النكبة وتداعياتها ، ومن هذه الروايات : فتاة من فلسطين (١٩٤٩) ، المتسلل (١٩٥٧) ، مذكرات لاجئ (١٩٥٨) ، صيادون في شارع ضيق (١٩٦٠) ، دقت الساعة يا فلسطين (١٩٦٢) ، الفردوس السليب (١٩٦٣) ، رجال في الشمس (١٩٦٣) ، على الدرب (١٩٦٤) ، فداء فلسطين (١٩٦٤) ، ما تبقى لكم (١٩٦٦) ، وجهان عاريان (١٩٦٧) ، سداسية الأيام الستة (١٩٦٩) ، أم سعد (١٩٦٩) ، وان طال السفر (١٩٧٧) ، عينان على الكرمل (١٩٨٩) ، عكا والرحيل (١٩٨٩) ، الطريق إلى بلحارث (١٩٨٢) ، المخيم (١٩٨٤) ، العبور إلى الوطن (١٩٨٥) ، مخيم في الريح (١٩٨٦) ، السواد أو الخروج من البقارة (١٩٨٨) ، بحيرة وراء الريح (١٩٩١) ، الخروج من القمقم (١٩٩٢) ، ظلال في الذاكرة (١٩٩٧) ، نهر يستحم في بحيرة (١٩٩٧) ، قمر في بيت دراس (٢٠٠١) ، امرأة الرسالة (٢٠٠٦) ، سوق الدير (٢٠٠٧) . هذه نماذج من الرواية الفلسطينية التي تغطي الفضاء الفلسطيني للنكبة الممتد على مساحة ستين عاما على وقوع النكبة ، بالإضافة إلى الروايات التي اقتبسنا منها للدلالة في البحث (١٣).

وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن : مدى قدرة الرواية الفلسطينية على التفاعل مع الواقع الفلسطيني وانعكاس هذا الواقع على رؤية الكاتب الفلسطيني ؟ وهل استطاعت الرواية

الفلسطينية متابعة قضايا ومشاكل الشعب الفلسطيني التي سببها الاحتلال الصهيوني ؟ . وكان منهجنا هو إبراز بنية النكبة وتداعياتها في الخطاب الروائي الفلسطيني ، من خلال رصد وتحليل مكونات النكبة : كالهجرة والتشرد ، والمذابح وهدم القرى ، والخيام والمخيمات ، ووسائل القتل وأساليب الإرهاب الصهيوني ، والأبعاد الإنسانية للنكبة ، وتفرد النكبة بترحيل شعب وجلب شعب أخر مكانه ، والدور البريطاني ، والعجز العربي ، ومسؤولية المجتمع الدولي ووكالة الغوث ، وتهويد المكان ، وأحوال المنفى والشتات ، وعمليات التسلل والعودة ، والمقاومة ، وحق العودة .

*****

تفرد النكبة :

ابتليت الأرض الفلسطينية بنوع من الاستعمار ، جديد غير مسبوق في العرف الاستعماري . إن التاريخ يذكر أن الاستعمار يعتمد على احتلال قوة عسكرية أجنبية لقطعة من ارض وطن لأهداف عسكرية أو اقتصادية ، ويكون ذلك لأمد قصير أو طويل ، وينتهي بخروج هذه القوة العسكرية من الأرض المحتلة ، بعدة عوامل منها : استنفاذ غرض الاستعمار، أو تحت ضغوط قوى المقاومة المحلية ، أو تحت ضغوط عوامل عالمية ترتبط بسياسات الدول الكبرى . أما الاستعمار الصهيوني فهو استعمار متفرد يقوم على الاستيطان وجلب المستوطنين من بلاد أوروبية ليتخذوا من فلسطين وطنا لهم تحت دعاوي توراتية أسطورية ، على حساب شعبها الآمن المستقر في هذا المكان منذ آلاف السنين (١٤) .

وهذا ما يمنح نكبة الشعب الفلسطيني خصوصيتها وتفردها عن غيرها من النكبات التي بليت بها الأمة العربية في فترات الاستعمار أوائل القرن العشرين ، أن جوهرها كان قائما على ترحيل شعب وجلب شعب آخر ليحل محله .

وهذه المسألة ـ المأساة تناولها الروائيون الفلسطينيون كتعبير عن قسوة وظلم ما جرى ، وانعكاس لواقع عاشوه أو سمعوا عنه من الآباء والأجداد . فقد جاء على لسان "أحمد" في رواية (الزورق) السؤال الجوهري حول مدى الظلم والاضطهاد الذي حل بالشعب الفلسطيني ، فيقول : "... وفي الجغرافيا أيضا ، شئ لم يقع من قبل ولا يبدو أنه واقع من بعد ، متى وأين حدث أن تم إجلاء شعب من أرضه بقوة السلاح من أجل أن يقيم في تلك الأرض شعب آخر جاءوا به من مشرق الأرض ومغربها" (١٥) . وهذا التفرد جعل النكبة تشكل علامة فارقة وذاكرة لا تمحى في حياة الإنسان الفلسطيني ، فأصبح يؤرخ بهذا العام لحياته ، كيف كانت؟ وكيف أصبحت؟، فهذا (المتشائل) عندما يريد أن يزور عكا يحدد يوماً لا ينسى في حياته ، يقول : "وكانت السبت ، الذي وقع عليه الاختيار هو اليوم الحادي عشر من آخر شهر في سنة ١٩٤٨ ذات الكف

العفريتية، فأنا لا أنسى هذا التاريخ الذي أصبحت ، فيما بعد ، أؤرخ به حياتي ما قبل وما بعد"(١٦) .

*****

الإرهاب والمذابح :

استخدمت المنظمات الصهيونية المسلحة كافة أنواع الوسائل الإرهابية الإجرامية لدفع الفلسطيني إلى الهجرة ، من إطلاق النار على السكان ، إلى ارتكاب المذابح ، إلى التمثيل بالجثث، إلى إحراق الجثث . وخرج الفلسطيني باحثاً عن السلامة والأمان وهرباً من الموت المحقق ، وتصف رواية (الفلسطيني) عمليات الإجرام والقصف العشوائي وهلع الناس لحظة الموقف ، تقول : "جاءت الطائرات ذات ليلة ، وألقت قنابلها فوق البيوت ، كانت الانفجارات تسرق الهواء من رئتي ، وكانت يدي اليسرى تمسك بطرف ثوب أمي ، بينما يدي اليمنى تمسك بشيء وضعته على رأسي ، ربما كان لحافي الصغير أو وسادتي الصغيرة ، وكان حشد من الأطفال والنساء يهرع إلى خارج القرية ، وكان رعب .. قبر أفعى ونواح كلب وقاذفات قنابل .. هذا هو وطني" (١٧) .

وهذا الرعب والخوف جعل الكثير من الناس ينسون حتى أبناءهم ، ويحملون بدلا منهم الوسائد . وقد صور هذا الجانب بكل معانيه الإنسانية وتداعياته غسان كنفاني في روايته (عائد إلى حيفا) . إن "صفية" لم تحمل الوسادة ، بل أرغمت مع زوجها "سعيد" على ترك بيتها مضطرة ، وبالتالي تركت ابنها الرضيع في السرير : "كان المساء قد بدأ يخيم على المدينة ، وليس يدري كم من الساعات أمضى وهو يركض في شوارعها ، مرتداً من شارع إلى شارع ، أما الآن بات واضحاً أنهم يدفعونه نحو الميناء ، فقد كانت الأزقة المتفرعة عن الشارع الرئيسي مغلقة تماماً ، وكان إذ يحاول الاندفاع في أحدها ليتدبر أمر عودته إلى بيته يزجرونه بعنف : أحياناً بفوهات البنادق وأحياناً بحرابها (١٨) . ويستمر الكاتب بوصف ما حدث وكيف ترك الطفل الرضيع "خلدون" في السرير، فسعيد لم يكن في البيت ، فقد كان في الحليصة مع المقاتلين، وزوجته هي التي كانت في البيت ، لكنها خرجت منه إلى الشارع لا تعرف ما تريده أو تفعله من شدة القصف وصوت إطلاق النار ، وفجأة رأت نفسها في موج من الناس ، يدفعونها وهم يندفعون من شتى أرجاء المدينة في سيلهم العرم الجبار الذي لا يمكن رده ، كأنها محمولة على نهر متدفق مثل عود القش ، ومضى وقت قبل أن تتذكر أن ابنها ما زال في سريره بالبيت ، وأجبرت على ركوب البحر إلى المنفى (١٩) .

ارتكبت المنظمات الصهيونية المسلحة أكثر من خمسين مذبحة في حرب عام ١٩٤٨ ضد الشعب الفلسطيني (٢٠) . وتعد مذبحة دير ياسين أعمق المذابح وأشدها خطورة على العرب

الفلسطينيين ، بل كانت احد أسباب النكبة المباشرة ، إذ قال "مناحيم بيغن" تعليقا على مذبحة دير ياسين : "إنه لولاها لما قامت دولة إسرائيل". ويأتي وصف أحداث وملابسات مذبحة دير ياسين، في العديد من الروايات الفلسطينية فهي كانت الأبرز والمثال لدى الروائي على عنصرية الصهيونية ودمويتها الإرهابية ، فهذه رواية (الفلسطيني) ترصد ملابسات المذبحة وشهادات حولها ، يقول "عيسى" في مذكراته على لسان الراوي : "في خريف عام ١٩٥٦(هذا التاريخ يعطي دلالة على مذبحة كفر قاسم) دخلت مدرسة فلسطينية كان اسمها "الأليانس" ثم غيروا الاسم إلى "دير ياسين" نسبة إلى القرية الفلسطينية الشهيرة التي ارتكبت فيها المذبحة البشعة .. والتي قال الكاتب اليهودي "ويليام زيكرمان" بخصوصها (أن سرد الأحداث على لسان يهودي تمثل شهادة من أهلها) أن أعضاء "الأرغون" مستعملين السلاح الأبيض والقنابل اليدوية ، قتلوا من دون أي سبب (٢٥٤) فلسطينياً من سكان قرية دير ياسين ، ومعظم تلك الضحايا كان من النساء والأطفال ، أما الباقون فقد تم نقلهم إلى القدس حيث عرضوا في الشوارع ليبصق عليهم اليهود ... وفي رواية ثانية أن رجال "الأرغون" كانوا يتسلون ببقر بطون الحوامل من النساء ليتراهنوا على جنس الجنين ، وان أحد أولئك الرجال ربح مبالغ كبيرة من رفاقه ، لأنه دائما كان يقول "ذكر" وحين يبقرون البطن ، ويستخرجون الجنين من الرحم يتبين انه ذكر بالفعل"(٢١) .

هل ثمة بشاعة أفظع من هذا الفعل النازي العنصري؟ ، وهذه المذابح والجرائم الوحشية هي التي دفعت الشعب الفلسطيني إلى الهروب ناجياً بروحه ، لأن الإعلام الصهيوني روج أن من لا يخرج سيجد مصير دير ياسين ، وأخذت مكبرات الصوت تجوب الشوارع تحرض الناس على الخروج طلباً للسلامة وإلا فالمصير معروف "لقد مر الأرغون من هنا إذن كانوا قد زرعوا جثة طفل على شكل فزاعة يخيفون بها ليس الطير ولا الحيوان بل من بقي حياً من سكان الأرض .. وزاد منظر الفزاعة في قلوب المرعوبين الهاربين رعباً فارتفعت وتيرة الركض في طلب السلامة"(٢٢) .

*****

الهجرة والتشرد :

لقد مثلت الهجرة قمة التراجيديا في حياة الشعب الفلسطيني ، الذي وجد نفسه مشرداً مطروداً من أرضه ووطنه ، بقوة السلاح والإرهاب . وقدمت الرواية الفلسطينية شهادتها عن تلك المأساة التي لم تتكرر في التاريخ .

إن مشاعر الخوف والذعر التي انتشرت في نفوس أهالي القرى بفعل الأعمال الإرهابية والمذابح التي مارستها المنظمات الصهيونية المسلحة هي التي دفعت أهالي "وادي السلامة" للخروج من أرضهم ، بالإضافة إلى أهالي القري المجاورة ، وهذا ما وثقته رواية (الخروج من

وادي السلامة) : "كتمت أصوات الانفجارات صياح الديكة ، لوث الدخان رطوبة الفجر... التصق الصغار بأمهاتهم ، وتحرك الجمع تدفعه غريزة الهرب . وصلوا إلى مرتفع يشرف على قرية سعسع ، فتسابقوا يستظلون بأحراشها وقد شغلتهم حرارة الشمس عن سماع الانفجارات ... بكى الأطفال مطالبين بالطعام فتشغلهم الأصوات القادمة من خلفهم ، ووصل الهاربون من قرى عيلوط وكفر عنان وفراضية ... وتبعهم أهالي ترشيحا والكويكات وسحماتا ودير القاسي . وتحولت الأشجار إلى أعشاش مكتظة بالأطفال والنساء" (٢٣) .

وفي رواية (الآخرون) نقرأ وصفا قاسيا لتراجيديا الهجرة على لسان الراوي بكل ما فيها من قسوة وأسى ، ومؤكداً أن الفلسطيني لم يخرج من أرضه طوعاً بل قسراً ، وتحت زخات الرصاص ودوي القنابل وقصف البيوت والمنازل ، فخرج الناس حفاة عراة بحثاً عن المأوى والسلامة ، يقول : "كنت في السادسة سحبت من سريري وأنا نائم ، وانتبهت مذعوراً أبكي ، ألبستني أمي معطفاً فوق البيجامة ، من تلهف عمتي وأمي على السير لم ألبس حذائي ... جرني أبي من يدي ومشت أمي تجر أخي الأصغر وتحمل ابنها الرضيع على صدرها ، فخرجنا إلى الشارع في الليل ... صوت القنابل يدوي ، تنفجر في البيت الكبير حيث يقطن جدي وجدتي ، جرينا من أمام البيت بسرعة ، بريق القنابل يضئ الليل مع كل انفجار... ويزداد ضرب الرصاص ، أمي تبكي ولا تريد السير ، ومن خلال دموعها تقول : أمي ، أبي وأخوتي ماذا جرى لهم ؟ ، ويفتح الباب ويخرج جدي وجدتي حفاة عراة لا يستر الأجسام سوى قمصان النوم ... ونسير مع النساء والأطفال وسط البيارات ، عبر الأسلاك والأشواك والظلام ، والرصاص يئز فوق الرؤوس وينهمر في كل مكان ... غرزت قدمي في الطين ، صرخت ، كتمت عمتي فمي وسحبتني بعنف وضاعت فردة قبقابي في العتمة وربكة الهروب ... سقط ابن سميحة في حفرة المجاري ، وتسمرت أمه على حافتها تولول وتصيح ، وفشل الناس في مساعدتها فالخوف من إشعال النور وتكاثف الرصاص جعل الناس يفرون ، ورفضت المرأة أن تغادر المكان ، ووجدوها في صباح اليوم التالي جثة هامدة ، مصابة بشظية من قذيفة مدفع مورتر هشمت رأسها" (٢٤) .

وتعد الهجرة ووصف أحوال الناس فيها من أكثر ما تناولت الرواية الفلسطينية التي تطرقت لتصوير النكبة وأحداثها ، ففي (بيت للرجم بيت للصلاة) كان الحدث أبشع مما وصف : "قصف مدفعي متواصل أيام الاثنين والثلاثاء وليلة الأربعاء ، قصفت مروع رهيب بكل أنواع الأسلحة ، قنابل مختلفة الأحجام ، والأصوات تنفجر فوق حي النزهة في مدينة يافا ، فتفجر مواسير المياه في الشوارع وتقطع أسلاك الكهرباء والتليفون ، وتهدم وتصدع بيوتاً ومحالا تجارية كثيرة ، ويخيم الهدوء صباح الأربعاء .. ويهرع الجميع إلى كافة أنواع المركبات ،

يعتلونها ويسوقونها خارج المدينة على أمل العودة بعدما تهدأ الأحوال ، ومن لم يجد عربة اندفع إلى شاطئ البحر ليركب مركب صيد ، أو سفينة صغيرة ليبتعد عن هذا الجحيم الذي حاصره. هربوا بأولادهم وبناتهم ونسائهم خوفاً من قصف المدافع ورشق الرصاص والمذابح التي سمعوا عنها ، وهتك الأعراض وقتل النساء والأطفال (٢٥) . لا يوجد وصف لتلك الأشباح الهائمة أبلغ من هذا الوصف المأساوي : شعب يشرد ويذبح ويهيم على وجهه ، لا يعرف أين المصير؟.

*****

هدم وتدمير القرى :

لم تكتف السلطات الصهيونية بتشريد أبناء الشعب الفلسطيني ، بل قامت بهدم قراهم ومدنهم ، لطمس الأثر الوجودي للفلسطينيين ، وحتى تقطع عليهم أي أمل بالعودة . وبلغ مجموع القرى التي دمرتها إسرائيل في عام ١٩٤٨ وبعده حوالي (٤١٨) قرية عربية ، من (٨٠٧) قرية وبلدة ، هي مجموع القرى والبلدات في فلسطين قبل عام ١٩٤٨(٢٦) .

وقد أخذ الروائيون الفلسطينيون يعكفون على رسم خريطة أرضهم بالأحداث والرجال ، وملامح الطبيعة الثابتة حتى الشجرة والتل والنبع والتربة الحمراء والنباتات الحراجية ، ما بين أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وما حولهما ، ولم تهمل الروايات بقعة واحدة أو مدينة مهما كان حجمها أو أهميتها ، وذلك في محاولة منهم للوقوف في وجه الممارسات الإسرائيلية التي تسعى لفرض سياسة التجهيل ، وقطع جذور الإنسان الفلسطيني بأرضه ، والعمل على تثبيت ملامح الأرض والمكان حتى تبقى في الذاكرة حية . ومن أكثر الروائيين الذين تتميز رواياتهم بأنه لا يحتويها مكان ، الروائي "أميل حبيبي" ، حيث نجد أن المكان لديه ممتد ومرسومة ملامحه ، ليستوعب كل أرض فلسطين : مدنها وقراها وعيونها وطرقها وجبالها وسهولها ، وكل ما تحوى تلك الأماكن من بشر وشجر وماء وقنن وخمائل وبيارات ، حتى ليمكن اعتمادا على رواية (المتشائل) أكثر من غيرها أن نستخلص تقويما جغرافياً ـ تاريخياً لفلسطين . ففي هذه الرواية يورد عدداً من أسماء القرى التي هدمها الاحتلال وشرد أهلها بكل وحشية وقسوة ، وذلك حين التقى الراوي بالأشباح الهائمة في فناء مسجد الجزار بعكا ، انهالت عليه الأسئلة المتشابهة ، نحن من الكويكات التي هدموها وشردوا أهلها ، فهل التقيت أحداً من الكويكات؟ أنا من المنشية ، لم يبق فيها حجر على حجر، سوى القبور، نحن هنا من عمقا ، ولقد حرثوها ودلقوا زيتها .. نحن هنا من البروة ، لقد طردونا وهدموها ... ويضيف (حبيبي) عدداً آخر من أسماء القرى" (٢٧) . التي إن دلت على شئ فإنها تدل على مدى الإرهاب والوحشية التي مارسته السلطات الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني .

إن الاستيلاء على الأرض كان هو الطموح الأساسي الذي قامت عليه سياسة الاستيطان الصهيوني قبل وبعد عام ١٩٤٨، لذلك ركزت سلطات الاحتلال على مصادرة أراضي عرب ٤٨ بعد فشلها في ترحيل أصحابها ، وهي إحدى وسائلها الضاغطة والقسرية على ما تبقى من عرب فلسطين بهدف ترحيلهم . ويقدم سميح القاسم في (الصورة الأخيرة في الألبوم) إحصائيات عما كان لليهود من أرض ، وما صار له ، وهو يحاول أن يقدم الصورة الحقيقية للاحتلال أمام حبيبته اليهودية "روتي" تناقض وتخالف ما لقنوه لها في المدارس والصحف الإسرائيلية ، يقول : "مساحة وطننا في حدوده الانتدابية حوالي ٢٧ مليون دونم حتى عام ١٩٤٨، عام كارثتنا الرهيبة لم تملكوا أنتم سوى قرابة مليوني دونم ، أما اليوم ، وبعد ممارستكم جميع وسائل سلب الأرض المعروفة والمبتكرة ، فلم يبق في أيدينا سوى أقل من نصف مليون دونم"(٢٨) .

*****

الدور البريطاني :

إن تهجير الفلسطينيين من أراضيهم وممتلكاتهم بدأ عمليا منذ الإعلان عن قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين في ٢٩ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٤٧، إحداهما عربية والأخرى يهودية . ومنذ صدور هذا القرار، أخذت المنظمات الصهيونية المسلحة وبالتنسيق مع القوات البريطانية باتخاذ إجراءات ميدانية لتفريغ المناطق المخصصة لليهود من العرب ، كمرحلة أولى ، عبر عمليات إرهابية وإجرامية متنوعة ، ترتب عليها هجرة بعض الفلسطينيين إلى خارج ديارهم ، قبل الإعلان عن نهاية الانتداب . وهذا ما أكده الدكتور سلمان أبو ستة ، من أن المنظمات الصهيونية المسلحة احتلت أكثر من نصف القرى الفلسطينية وطردت سكانها منها قبل رحيل القوات البريطانية ، يقول : "حتى نهاية الانتداب البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٥ ، كان الصهاينة قد احتلوا (٢١٣) محلة ، وطردوا (٤١٣ ألف) لاجئ ، وإذا أضفنا الـ ٢٧ يوماً من القتال بعد نهاية الانتداب إلى تلك المرحلة . باعتبار أن القوات العربية لم تألف بعد المكان ، أو تستعد للقتال بالشكل الكافي ، فيكون الصهاينة قد احتلوا (٢٩١) محلة ، وطردوا (٥٠٠ ألف) لاجئ في تلك الفترة ، وبذلك يكون مصير فلسطين قد تقرر سلفاً ، قبل أن تبدأ القوات العربية إنقاذ فلسطين من الصهاينة (٢٩) . ولا ننسى أن مذبحة دير ياسين وقعت في ١٩٤٨/٤/٩، أي كانت قبل رحيل القوات البريطانية من فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥.

ونقرأ هذه الحقيقة فيما استعرضه "النشاشيبي" في روايته عن أحداث عام ١٩٤٨ بصورة تاريخية من خلال عرضه لسقوط المدن العربية ، قائلاً : "وهذه هي المدن العربية تسقط في يد العدو واحدة بعد الأخرى ، في يوم ١٤ مايو سقطت مدينة "صفد" ، وفي يوم ١٢ مايو سقطت مدينة يافا ، وبعدها بثلاثة أيام سقطت عكا ، والأحداث تتلاحق .. والدماء تنزف ..

والإرهاب يزيد . وأيضاً أرخ لمذبحة دير ياسين دون وصف للأحداث ، يقول : "لقد نشطت أعمال العصابات اليهودية الثلاث ـ الهاجاناه والأرجون وشتيرن ـ بصورة مفزعة ، واقترفت مذبحة دير ياسين بجوار القدس ، وقتل في تلك المذبحة وحدها وفي يوم واحد هو يوم العاشر من إبريل عام ١٩٤٨ مئات من الأطفال والشيوخ والنساء وملأت بجثثهم آبار القرية"(٣٠) .

وحين نقرأ التواريخ التي قدمها "النشاشيبي" في سياق الرؤية التاريخية ، نلاحظ أن سقوط المدن والقري تم زمن الانتداب البريطاني ، مما يعني تحالف وتواطؤ بريطانيا مع اليهود ضد العرب . وأشارت رواية (عائد إلى حيفا) إلى تلك الحقيقة ، كما جاءت على لسان الراوي الذي اعتقد أن الإنجليز ما زالوا يسيطرون على المدينة ، وأن الأحداث في شكلها النهائي كان مقدراً لها أن تقع بعد ثلاثة أسابيع تقريباً ، حين يشرع البريطانيون في الانسحاب حسب الموعد الذي حددوه . إلا أنه اكتشف مدى التعاون البريطاني ـ الصهيوني في ترحيل العرب ، فبعد اشتداد القصف ، استطاع أن يميز جنوداً بريطانيين يسدون بعض المنافذ ويفتحون منافذ أخرى . وكانت كل المنافذ المفتوحة تؤدي إلى الميناء ـ البحر (٣١) .

*****

المسؤولية الدولية ووكالة الغوث :

لقد خرج الفلسطيني هائماً باحثاً عن المأوى ، يعاني ذل التشرد والضياع ، فقد ضاعت فلسطين واحتلها الصهاينة ، "وأعطوا الفلسطينيين بدلا منها خيشاً ومخيمات وإسطبلات"(٣٢) . وكونت الأمم المتحدة وكالة غوث اللاجئين لتقديم المساعدات للشعب الفلسطيني ، "فالأمم المتحدة وافقت على تشريد الفلسطينيين ، ووافقت بالمقابل على تعويضهم عن الوطن والأرض والعلم والهوية ، ببعض الطحين وزيت السمك وبعض الهدايا"(٣٣) .

إن الأمم المتحدة ومن قبلها عصبة الأمم ، والهيئات الدولية الأخرى ، ليست بريئة مما حدث للشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، فهي التي شرعت وقننت فرض الانتداب البريطاني ، وأقرته على أفعاله ومساهماته في تثبيت أقدام الحركة الصهيونية في فلسطين ، وبالتالي إقامة كيان سياسي لليهود على حساب شعب آخر عاش منذ فجر التاريخ فوق أرضه .

*****

تأثيرات الهجرة :

إن ما فعلته الهجمة الصهيونية الإرهابية ضد شعبنا أنها غيرت حياة الهدوء والاستقرار لديه إلى حياة التشرد والإهانة ، فيصف أميل حبيبي ما حدث للفلسطيني قائلاً : "بعد النحس الأول في سنة ١٩٤٨، تبعثر أولاد عائلتنا أيدي عرب ، واستوطنوا جميع بلاد العرب التي لم يجر

احتلالها ، فلي ذوو قربى يعملون في بلاط آل رابع في ديوان الترجمة من الفارسية وإليها ، وواحد تخصص بإشعال السجائر لعامل آخر، وكان منا نقيب في سوريا ، ومهيب في العراق ، وعماد في لبنان" (٣٤) . لقد توزع الفلسطينيون وتشتتوا في كافة الأصقاع ، وكانت جموع اللاجئين مثل القطار، كما شبه "حسن يوسف" رحلتهم المأساوية ، فيقول : ".. بعد الرعب كان قطار، وكان لاجئون ، أما اللاجئون فلاشك في أنهم أبناء فلسطين ، وأما القطار فلا أعرف هويته، ولا أعرف في أية أرض كان يتدحرج : في لبنان ، في سورية ، في الأردن؟ لا أعرف"(٣٥). ومع قطار الفاجعة بدأ الحد الفاصل بين الزمنين الفلسطينيين ، زمن الوطن وزمن الشتات .

وأخذ عمق المأساة يتضح من خلال التفريق الذي أحدثته النكبة بين الأهل : الأخ وأخيه ، والزوج وزوجته ، والابن وعائلته . فيذكر أميل حبيبي في (السداسية) ، كيف أن أولاد الحارة كانوا لا يعرفون لـ "مسعود" أعماماً وأخوالاً ويتصورون أنه مقطوع من شجرة ، هي عائلة طالعة من الحيط لا خال ولا عم ، "أو كما نقول ـ نحن أولاد الحمايل ـ لا هم ولا غم" . حيث أن عائلة مسعود قد هاجرت وعاشت بين عائلات من حمولة واحدة ، فكانت بمثابة العائلة الغريبة بين العائلات ، لذلك جاء الاستغراب والدهشة عندما وقفت سيارة فخمة بجناحين مثل الطيارة ، غريبة ، ذات رقم أزرق وزامور نغام بعثر الأولاد عن طريقها ، أمام منزل مسعود ، حتى أن مسعود نفسه شعر بالدهشة لأنه لم يكن يعرف سر وقوف هذه السيارة أمام منزله ، ولكن الدهشة والاستغراب زالا عندما ذهب مسعود إلى بيته وعرف أن له أعماماً يسكنون الضفة الغربية . من هنا تبين لمسعود أن ليس مقطوع الأصل والفصل ، وليس غريباً في هذه الدنيا (٣٦) .

وفي (طبرصف والزينبية) يشير الراوي إلى افتراق الزوجة عن زوجها ، يقول على لسان إحدى الشخصيات عندما عادت من الناصرة إلى طبرصف لأخذ بعض الأغراض : "لا أنسى حبوبة عام ٤٨ عام الخروج إلى بلاد الله الواسعة ، رأيت حبوبة في (الحويطة) ، ... هرعت إلي وصاحت ، أين .. أين حمودة؟ .. ظلت حبوبة تسأل كل واحد تراه من أهل طبرصف وهو مغادرها ، أين حمودة .. أين حمودة .. لا احد يعرف أين حمودة . تبكي حبوبة وتنادي حمودة ، هل مات ؟ هل قتل ؟ ... أربعة أيام بلياليها واقفة حبوبة في الحويطة تنتظر عودة حمودة دون أن يأتي حمودة ، ودون أن تعرف ماذا حدث له" (٣٧) .

*****

الأحوال بعد التشرد (الخيام والمخيمات) :

تغيرت أحوال الفلسطينيين بعد التشرد من ديارهم ، فقد أصبحوا لاجئين يسكنون الخيام والمخيمات التي أقامتها لهم وكالة الغوث (الاونروا) في أماكن لجوئهم ، بعد أن كانوا أصحاب

بيوت وأراضي ، وتميزت حياتهم بالقسوة والبؤس الذي لا مثيل لهما إطلاقا . فقد عاشوا في بداية لجوئهم في خيام بالية لا تقي من حر صيف أو برد شتاء ، ومعتمدين في عيشهم على المواد الغذائية التي توزعها عليهم وكالة الغوث شهريا بنسب متفاوتة ، بالإضافة إلى انعدام الرعاية الصحية والاجتماعية ، مما نتج عنها العديد من المشاكل أهمها زيادة نسبة المرضى والوفيات ، وتفشي البطالة والفقر .

وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه الحياة القاسية للاجئين على الكتاب الفلسطينيين وخصوصا أن اغلبهم عاش في المخيمات واكتوى ببؤس الخيام ، فنجد صدى واسعا لها في الرواية ، سواء بصورة مباشرة تصف حياة البؤس والشقاء وما يعانيه اللاجئون في حياتهم ، أو معالجة بعض المشاكل والقضايا الاجتماعية التي ترتبط بالظروف الاجتماعية والاقتصادية للاجئين سواء في المخيمات أو خارجها .

ترصد رواية (الخروج من وادي السلامة) وصول اللاجئين من أهل الشمال الفلسطيني إلى لبنان ، قائلة على لسان الراوي : " تابعت حشود الهاربين تدفقها إلى قرية بنت جبيل اللبنانية، وامتلأت أزقتها بجموع لم تشهدها ... ضاقت كروم الزيتون المحيطة بالبلدة عن استيعاب كل تلك الجموع ، وبدا البعض بالبحث عن أماكن يمكن استئجارها" (٣٨) . وهذا قبل أن تبدأ وكالة الغوث في اخذ دورها تجاه اللاجئين . ثم قامت الحكومة اللبنانية بنقلهم إلى داخل الأراضي اللبنانية بالقرب من المدن الكبيرة ليقيموا في خيام أعدت لهم (٣٩) .

وفي رواية (بيت للرجم بيت للصلاة) يأتي وصف إحدى الشخصيات لأحوال اللاجئين بعد لجوئهم إلى الخيام ، قائلة : "كان الجامع الوحيد في خان يونس ممتلئاً بالعائلات فذهبنا إلى مدرسة في شمال البلدة ، وجدنا في كل غرفة خمس عائلات أو أكثر يفصل بين كل عائلة وأخرى كيس من الخيش ، فرد على شكل ملاءة ومعلق على حبل ، وحول المدرسة وفي حوشها تكدست خيام صغيرة كأخمام الدجاج فاكبر خيمة كانت في اتساع كيسين من الخيش وفي علو متر، أحد أطرافها مربوط بمسمار مدقوق بحائط المدرسة الخارجي أو دورة المياه ، والطرف الأخر مربوط بوتد مدقوق في الأرض ، يدخلها الناس زحفاً كالحيوانات .. خرجت أتفقد المكان وأبحث عن طعام ، عائلات بأكملها تقيم تحت الشجر، وكثيرون يتسولون ، كانوا يوزعون عليهم بمعدل رغيف واحد للفرد كل أربع وعشرين ساعة ، رأيت مناظر أبكتني وأوجعت قلبي ، صغار وكبار يأكلون قشر البطيخ ، كقوتهم الوحيد ، وينامون في العراء دون غطاء .. قرب المدرسة كان هناك معسكراً آخر من الخيش ، تصليه الشمس ناراً حامية ، يعجنون بعض الطحين ويخبزونه على نار الحطب التي يتصاعد دخانها إلى عنان السماء يعمي البصر ويزيد من حرارة الجو .. حتى الخيش

الذي أعطوه لهم ليجعلوه ستاراً لدورات المياه وجدوا أن دفع غائلة الموت عنهم أولى من ستر العورة ، فصنعوا من الخيش فراشاً وأغطية لأطفالهم ونسائهم ويقضون حاجتهم في العراء"(٤٠) .

ومع كل هذا الذل والمهانة والموت البطيء ، لم تتركهم الطائرات الصهيونية بل واصلت قصفها للخيام لتقضي على الفلسطيني لتحقق مقولتها "أرض بلا شعب" . "... ماذا أقول يا بني؟ ذهبت لأحصل على بضع كيلو جرامات من الدقيق ، فوجدت طابوراً أطول من كيلومتر يقف تحت أشعة الشمس المحرقة ، وقبل أن يصلني الدور جاءت طائرات الصهاينة لتلقي فوقنا قنابلها .. مات من مات ، واختلط الدقيق بلحم ودم الناس ، وحينما خرجت من تحت اللوري فوجئت بالعديد ممن تقطعت أيديهم وأرجلهم"(٤١) .

هذا ما آلت إليه أحوال الفلسطينيين بعد تشردهم من أرضهم ، يعيشون في الخيام والإسطبلات والكراجات والطرقات والمدارس والمساجد ينتظرون المعونة ، والطائرات الصهيونية تلاحقهم أينما كانوا لتقضي على من تبقى منهم . ومن أثار الظلم والعدوان الذي حل بالفلسطيني خلال تلك المرحلة أنه : "لم يحدث ، أن وضعت امرأة فلسطينية مولوداً في مستشفى، لقد جاءوا أطفال تلك المرحلة في الخيام والإسطبلات والمستودعات والأقبية ، جاءوا حتى في الطرقات العامة وخلف الأشجار وتحت القناطر في الحقول ، أما أولئك الذين ولدوا في مسجد أو كنيسة فقد كانوا من المحظوظين"(٤٢) .

وفي أوائل الخمسينيات قامت وكالة الغوث بتحويل الخيام إلى مخيمات دائمة لإيواء اللاجئين ، وهي عبارة عن بيوت مربعة أو مستطيلة تتكون من غرفتين أو ثلاثة وذات سقف من القرميد ، والبيوت متلاصقة تتخللها شوارع ضيقة لا تتجاوز المترين . وترصد رواية (الطوق) الصورة الواقعية لمخيمات اللاجئين من خلال نموذج مخيم الشاطئ في قطاع غزة : " ... وبيوت المخيم المتراصة كعلب الكبريت غيبت الآدميين في جوفها حتى الانتفاخ ، فيما راحت رياح تشرين تصفر جدران الأزقة الضيقة ، تصفر ... تتلوى أصوات شيطانية حول السقوف الواطئة ، تغربلها شبابيك الزينكو وفرجات القرميد فحيحا جليديا ، يجثم على الأجساد المحشورة في الغرف، تتلوى الأجساد وتتقلص على ذاتها .. تقنع الرب الذي في السماء .. بإمكانية تحولها إلى ديدان تجيد الاختفاء في عروق الأرض (٤٣) .

وعن الفقر والجوع في مخيمات اللاجئين ، فهذه "أم حسام" في (التين الشوكي ينضج قريبا) والتي فقدت زوجها شهيدا وهي في أول العمر، وتربي ابنها الصغير "حسام" ، تصف أحوالها في ظل المخيم ، وتشكو لنفسها حالة الفقر التي وصلت إليها ، تقول : "لم تكفنا المعونة يا أبا حسام .. صرت انسج الصوف وغيرنا يتدثر به ، أما نحن الفقراء فلننتظر صرر الإعانة ،

وكسوة الميسرين ، ولننتظر لحم الأضاحي في العيد ، وتوزيع التموين كل شهرين مرة ، ودلف القرميد وبرد الشتاء ، وقلة الدراهم ، وقنوات الوحل .. الحشرات القارصة والروائح العفنة"(٤٤) .

هذه الأوضاع البائسة والمزرية من الطبيعي أن تخلق مشاكل وقضايا عديدة سببها الفقر والأوضاع المعيشية الصعبة في المخيمات . فإذا كان "الغاوي" في (الطوق) طلب من زوجته إلقاء الأولاد في الشارع نتيجة ضيق المكان وإحساسه بأنه يعيش في سجن لا بيت (٤٥) . وحينما أراد أن يعزل ابنته عن أخوتها الصبيان شعر بمرارة الواقع الذي يحياه ، فالبيت ضيق ولا يمكن توفير غرفة جديدة ، فما كان منه إلا تحويل المطبخ إلى غرفة لـ"سعدية" حتى تستكمل دروسها ويعزلها (٤٦) . وإذا كان فقر "الغاوي" لم يدفعه إلى الهروب من واقعه ، وحاول أن يحل مشاكله دون الخروج عن القيم الاجتماعية . نجد "إحسان" في (شقاء إلى الأبد) يقع نتيجة لفقره في أحضان "سامية" المرأة الغنية التي تدخله إلى عالم السكر والخطيئة ، فيضطر للزواج منها سترا للفضيحة من ناحية وطلبا للمال من ناحية أخرى ، مما نتج عنه طلاق زوجته وتشرد أطفاله(٤٧) .

ولكن ثمة قضايا اجتماعية اخطر تتعلق بالتغيرات التي أحدثتها النكبة وسكنى المخيمات وممارسات الاحتلال على نفسية الإنسان الفلسطيني . فثمة من يتغلب على قسوة الواقع الاجتماعي ويحاول أن يحقق وجوده الإنساني بطرق ايجابية كالمقاومة أو التعليم أو العمل الشريف ، وثمة من ينهزم أمام هذا الواقع القاسي ويلجأ إلى أساليب غير شريفة ليحقق وجوده كالعمالة أو السرقة أو الخيانة .

في رواية (الذين يبحثون عن الشمس) نجد النموذجين ماثلين أمام القارئ من شخصيات تعيش في المخيم أو على أطراف المخيم ، ولكنها من اللاجئين الذين شردوا من ديارهم وسكنوا مخيمات الجوع والفقر ، والكل يحاول أن يتخلص من واقعه . في النموذج الأول نجد "محمود" العامل الفقير الذي لا يملك سوى قميصين ، ويعيش في قلب المخيم ، يختار المقاومة سبيلا للخلاص من فقره وللتحرر من المخيم بمقاومة من كان سببا في فقره وعيشه في المخيم ألا وهو الاحتلال الصهيوني (٤٨) . وكذلك "سهام" ابنة المخيم والتي ماتت أمها تحت عجلات سيارة عسكرية، ووالدها الذي أصيب بلوثة في عقله حسرة على زوجته ، ورغم فقرها ومأساتها إلا أنها لم تنحرف ، فهي تعمل سكرتيرة خاصة لدى المحامي "سمير" المشهور بإغواء النساء ، إلا انه لم يستطع إغوائها أو إغرائها بكل مباهج الدنيا ، واختارت "سهام" طريقها مع الذين يبحثون عن الشمس ، وتم إلقاء القبض عليها ومعها أكوام من المنشورات (٤٩) .

أما في النموذج الثاني ، فنجد "يسرى" من بنات المخيم الجميلات وتحمل شهادة التوجيهي ، تتزوج من "حمدي" الرجل الغني ، ولكنها وبشخصيتها المسطحة أرادت أن ترتوي حتى الثمالة من الغنى ، فلم تكتف بما يهيئه لها زوجها من أسباب الثراء ، فدفعها طموحها إلى

إقامة علاقة مشبوهة مع المحامي "سمير" وتغوص في الوحل معه بكامل إرادتها . ورغم طموحها الذي أوصلها إلى حد الخيانة والسقوط الأخلاقي ، إلا أنها تحاول أن تبرر لنفسها أفعالها، بان زوجها رجل الأعمال كثير الغياب عن البيت ولا يعود إلا متأخرا ، وغارق في جمع الأموال (٥٠) . فزوجها "حمدي" أيضا لديه طموح جعله يهمل بيته وهو تحقيق وجوده بالمال ، والذي يأت أحيانا بطرق مشبوهة ، بالإضافة إلى فساده الأخلاقي مع النساء (٥١) . إن شخصيتي "حمدي" و"سمير" من الشخصيات الوصولية على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة ، لا يهمهما قيم أو مبادئ أو حتى الشرف ، كلها في نظرهم سلع تباع وتشترى ، ويستغلون حاجة الناس ومعاناتهم لكي يحققوا وجودهم .

ونجد كذلك "نادية" ، فبعد زواجها برضاها من "محمود" ، إلا أنها ما تلبث أن تتفتح عيونها على المال للخلاص من فقرها ، فتبدأ في خيانة زوجها مع المحامي "سمير" الذي يمنحها قليلا من المال حتى تستطيع مشابهة النساء الأخريات ، ثم تحاول أن تغري (حمدي) بعد أن عملت لديه ، من اجل الحصول على مزيد من المال "هذا الرجل غني ... غناه بحجم الفقر في المخيمات ويزيد" (٥٣) ، فالفقر هو عقدتها النفسية . وقد وصلت بها النقمة على واقعها ، واقع المخيم ، إلى حد رفض مواصلة الحياة في المخيم ، لهذا تأبى أن تكون أما لأطفال ترميهم لفقر المخيم وحرمانه وجوعه ، تقول عن زوجها : " أيحق لرجل مثله أن ينجب أطفالا يدفع بهم إلى الطرقات الموحلة في المخيم لتدوسهم عجلات المرض والفقر والجوع ... سيكونون نقمة وسيلعنون البطن التي انتفخت بهم" (٥٤) .

إن المداد لا ينفذ إذا أردنا أن نتناول أوضاع اللاجئين في المخيمات ، والمشاكل والقضايا الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية التي يعانون منها ، فقد حاولنا أن نعطي نماذج للدلالة على تفاعل الرواية الفلسطينية مع أوضاع اللاجئين في المخيمات ، وهي من أكثر الموضوعات التي تناولتها الرواية .

*****

تهويد المكان الفلسطيني :

تحاول سلطات الاحتلال الصهيوني بأي شكل من الأشكال استفزاز العربي في كل خطوة يخطوها ، من خلال ما يلاحظه من تغيير في الأسماء التي تعودها ، فقد أخذت إسرائيل منذ أيامها الأولى في تغيير أسماء المدن والشوارع والساحات بأسماء عبرية وأجنبية ، بهدف إضفاء الطابع اليهودي ـ التوراتي على المكان .

لهذا أصر الروائي الفلسطيني على تحدي الإجراءات الصهيونية ، التي تسعى بكل جهدها إلى تهويد المكان وتغييب الهوية الوطنية والحضارية للشعب الفلسطيني ، إلى تسجيل

التغيرات التي أحدثتها الصهيونية على المكان الفلسطيني وإبراز الاسم العربي الفلسطيني للمكان ليبقى خالد في الذاكرة . فيعيد "أميل حبيبي" في (المتشائل) للمكان هويته الفلسطينية ويذكر تغيراته : "فساحة الحناطير في حيفا يصبح اسمها "باريس" ، ومرج ابن عامر يصبح اسمه "سهل يزراعيل" ، بينما تحمل عين جالوت اسما مستمداً من التوراة "عين حارود" ، ومن سخريات (المتشائل) أنه نتيجة لجهله للعبرية حسب أن اسم مدينته الحبيبة حيفا قد تغير ليصبح "مدينة إسرائيل"(٥٥) .

وفي رواية (أخطية) يبدو "أميل حبيبي" مصرا على استعادة كل ما يتعلق بحيفا قبل عام ١٩٤٨، وينطلق في هذه الاستعادة من حنين كبير إلى حيفا أيام العرب ، بسبب إحساسه بالفارق الكبير بينها وبين حيفا اليوم ، والتي يغير فيها الاحتلال كل شيء : من الشكل حتى الأسماء ،وحتى المعالم التاريخية والدينية والطقوس الاجتماعية (٥٦) .

وكذلك قرية "أم العين" الواقعة على الحدود ، والتي احتلها الإسرائيليون عام ١٩٤٨ وأخرجوا سكانها منها أبدلوا اسمها ، فأصبح رامات يوسيف"(٥٧) .

تلك كانت سياسة إسرائيلية مخططة ومنظمة ، يقول ميرون بنفيستي : "في عام ١٩٤٩ شكلت الحكومة الإسرائيلية لجنة علمية متخصصة ، لتغيير معالم المكان الفلسطيني الذي تم الاستيلاء عليه وطرد سكانه ، وكانت مهمة هذه اللجنة تغيير أسماء الأماكن والمواقع العربية إلى أسماء عبرية ، لتأخذ صفة اليهودية بعد محو اسمها العربي ، واختارت اللجنة أسماء توراتية وتاريخية يهودية للمكان لتعطي انطباعا على اقدمية المكان بالنسبة لليهودي القادم حديثا إلى المكان وكذلك للسائح والزائر" (٥٨) .

*****

حنين العودة :

يبقى حنين الفلسطيني إلى العودة لأرضه متواصلاً لم ينقطع حتى وقت الهجرة والفعل القسري ، لذلك يحاول دائماً العودة ، إذا ما سنحت له فرصة ، وكانت سلطات الاحتلال تقتل كل من يحاول العودة ، أو تعيده ثانية خارج الحدود . يذكر أميل حبيبي على لسان (المتشائل) عندما خرج مع الحاكم العسكري إلى عكا في سيارة الجيب ، ما وجدوه في الطريق الترابي بين أعواد السمسم ، يقول : "وما إن مرت بضع دقائق حتى أوقف الجيب فجأة ، وانطلق منه كالسهم ، وقد أشرع مسدسه ثم اخترق أعواد السمسم وكشفها ببطنه ، فإذا بامرأة قروية مقرفصة ووليدها في حجرها وقد رأرأت عيناه ، فصاح : من أية قرية؟ فظلت الأم مقرفصة تطل عليه بنظرات شاخصة مع أنه كان واقفاً فوقها كالطود ، فصاح : من البروة ؟ فلم تجبه بعينيها الشاخصتين ، فصوب مسدسه نحو صدغ الولد ، وصاح : أجيبي أو أفرغه فيه .. ، وأما المرأة فقد أجابته هذه

المرة : نعم من البروة ، فصرخ : أعائدة أنت إليها ؟ فأجابته : نعم عائدة ، فصرخ : ألم أنذركم أن من يعود إليها يقتل ؟ ألا تفهمون النظام ؟ أتحسبونها فوضى قومي أجري أمامي عائدة أي مكان شرقاً ، وإذا رأيتك مرة ثانية على هذا الدرب ، لن أوفرك" (٥٩) .

وإذا لم تستطع ابنة البروة من العودة إليها ، فهذا العجوز ابن قرية دير سنيد يوصي حين موته أن يدفن في تراب قريته ، فالحنين إلى الأرض يبقى مشتعلاً ، ولعل الدفن تحت رمالها يطفئ لهيب الحرقة والألم . "لا أستطيع أن أتخيل أن يضمني تراب غير تراب بلدتي .. هذه وصيتي إليكم" (٦٠) .

*****

المقاومة :

إن البقاء والصمود في الأرض الفلسطينية تحت الاحتلال هو أعلى قمة في المقاومة ، فالاحتلال الصهيوني سعى بكل أساليب القمع والإرهاب إلى دفع ما تبقى من الفلسطينيين إلى الهروب خارج الأراضي المحتلة ، ولكن الفلسطيني في المقابل تحدى القمع بالموجهة والصدام مع المحتل بكل الطرق والوسائل المتاحة ، من الصحيفة إلى المنشور إلى القلم إلى الكتابة على الجدران إلى امتشاق السلاح .

وعندما يسعى الفلسطيني إلى قتل الإسرائيلي ـ الصهيوني ، ويحرص عليه ويتكتل لإزاحته ، يفعل ذلك من مستوى العقوبة أو الثأر ـ الفعل من جزاء العمل ـ ممن عذر وممن قدم لاغتصاب أرض ليست له ، وممن صنع المذابح ونشر الدمار، وليس من مستوى عداء الدم أو الكراهية الفطرية. فهذه "هناء الغزاوي" في (حفنة رمال) تجيب الضابط المصري عن سبب وجودها في السجن ، تقول : "أنا هنا لأن بلدي لم يعد هنا .. إن جريمتي تمشي مع جريمة غيري، عندما حاول أن يغتصب مني أرضي ، قتلته ، أجل قتلته .. بعد أن قتل هو أيضاً ولدي الوحيد الذي رفض أن يبيع لهم الأرض التي استولوا عليها بالقوة ، إن ضحيتي هو مغتصب وطني .. هو قاتلي" (٦١) .

وفي الرواية (الآخرون) يتضح من خلال الحوار الذي دار بين "ناتالي" الفرنسية ، والمثقف الفلسطيني رجل الإعلام في باريس ، مدى التضليل الذي تمارسه الدعاية الصهيونية في المجتمع الأوروبي وانعكاسه على أفراد هذا المجتمع ، وتأثيره في سلوكهم ، ولكن حينما تتواجه مع الفلسطيني في حوار صريح ، وتكتشف "ناتالي" أبعاد المؤامرة توافق الفلسطيني على أفعاله تجاه من سلبوه أرضه ووطنه . يقول المثقف : "نحن نكرة الصهاينة لا اليهود ، تخيلي يا ناتالي لو جاء شخص غريب وانتزعك من باريس التي تحبينها ، وألقاك في أي مكان آخر، وحرم عليك

العودة إليها ، واستولى على بيتك ، ومواقع طفولتك وكل ما تمثله باريس لك ، فماذا تفعلين ؟ (ويأتي جواب ناتالي التلقائي) :

ـ كنت أقتله .

ـ الآن أجبت عن سؤال سألته لك من قبل ، هل تعلمين أن لي مدينة ولدت فيها وأعشقها كما تعشقين باريس ، ويقتلني الحنين وتعذبني الرغبة أن أعيش فيها ، أن أكون مواطناً يمارس أبسط ما يمارسه أي مواطن في أي بلد ، لكنهم حرموني من ذلك .

ـ الصهاينة.

ـ ومن غيرهم ، والعالم يتفرج ، ولا يفعل شيئاً .

ـ أنا لا أفقه في السياسة ولا أحبها ولا أقرؤها ، لكني لو كنت مكانكم لقاتلتهم بكل ما تصل إليه يدي من أسلحة ، لذهبت إليهم حتى أعود لوطني أو أموت (٦٢) .

أما الفتاة الإنجليزية في رواية (القناع) والتي دخلت في النقاش المحتد بين "كمال" وصديقها الإنجليزي حول موضوع خطف الطائرات ... ففي حين يعتبرها "غافين" الإنجليزي أنها قرصنة ، نجد أن "كمال" يعتبرها حقاً مشروعاً لمن طرد من وطنه ، وقد أيدت الفتاة الإنجليزية موقف "كمال" بكل حماسة ، فقالت : "لولا الحياء لقبلتك أمام جميع الناس ، أخيراً تحركتم ، وجعلتم العالم ينتبه إلى عدالة قضيتكم" (٦٣) . ويعود موقف تلك الفتاة وإيمانها بعدالة القضية الفلسطينية ، لشعورها بالظلم والوحدة والأحاسيس المتشابهة ، فهي من قرية صغيرة في إيرلندا ، تركتها مع والدها وهي في الخامسة من العمر ، ولم تعد إلى هناك ، ولكنها مع ذلك تذكرها وتخبئ لها في صدرها حنينا خاصاً وذكريات طفولة لهذا ومن نفس الشعور تؤكد قائلة : "عندما أفكر فيكم ـ تقصد الفلسطينيين ـ أفكر في قريتي ، وأسأل نفسي : ماذا يحدث لو سمعت أن غريباً جاء ليحتل قريتي بالقوة ، أتعرف ماذا يحدث ؟ سأحمل السلاح وأذهب لطرد الغريب .. وهذا ما يجعلني أفهم حقيقة شعور المقاتل منكم وهو يحمل سلاحه ليدافع عن بلاده ويطرد الغريب (٦٤) .

إن المقاومة لدى الفلسطيني ليس من أجل القتل ، وإشاعة جو من الفوضى والإرهاب كما فعلت المنظمات الصهيونية المسلحة ، إنما المقاومة دفاعاً عن الحق والأرض ، ودفاعاً عن الحياة التي تحاول الصهيونية سلبها من الإنسان . فالعدوان بدافع من عقيدة عنصرية على كرامة امرئ واحد ، أنى كان ، إنما هو جريمة بشعة قد ارتكبت في حق البشر جميعاً في كل مكان .

*****

خاتمة وتوصيات :

بعد هذه البانوراما التراجيدية لنكبة الشعب الفلسطيني ، لا ندعي أننا قدمنا كل النكبة وتداعياتها كما رصدتها الرواية الفلسطينية ، إنما بعض ملامح ما فعلته الهجمة الصهيونية

الشرسة والوحشية ضد شعبنا ، بهدف إثبات أن الرواية الفلسطينية لم تكن بمنأى عن الواقع الفلسطيني وعن قضية اللاجئين وحق العودة . بل كما قرأنا نؤكد أن الرواية قامت بدورها في رصد ملامح النكبة وتداعياتها منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ٢٠٠٧. ورغم كل التطورات الحديثة والتقنيات الفنية الحديثة التي دخلت على الرواية ، بقيت الرواية الفلسطينية محافظة على مضمونها وان أدخلت تحديثات على شكلها الفني ، فلم يستطع الكاتب الفلسطيني تجاوز ذاته وواقعه ، والتحليق في خيالات وردية وأوهام عبثية ، فمازال الواقع الفلسطيني ينز دما وألما وقمعا واضطهادا ، ويعيش الكاتب والمثقف الفلسطيني في ظله يعاني كما يعاني أبناء جلدته من العدوان الصهيوني المتواصل على كل مساحة الوطن الفلسطيني ، وتمثل النكبة حجز الزاوية فيما وصل إليه الفلسطيني من أوضاع اجتماعية واقتصادية وثقافية مأساوية ، فهي الجرح المفتوح أمام كل الكتاب الفلسطينيين وخصوصا الروائيين . وبهذا مثلت الرواية شهادة أو وثيقة دامغة على الإرهاب الصهيوني ، وسجلا واضحا لمعاناة الإنسان الفلسطيني جراء الممارسات الصهيونية .

كاتب وباحث وناقد أدبي ـ غزة

هوامش البحث

١ـ عبد الرحيم محمود شاعرا ومقاتلا : من قصيدة المسجد الأقصى . ص ٥٦ ـ ٥٧.

٢ـ إبراهيم طوقان : الديوان . من قصيدة مناهج . ص ٩٣.

٣ـ للمزيد حول الموضوع انظر: إبراهيم عبد الكريم : تهجير العرب من فلسطين في التفكير الصهيوني قبل عام ١٩٤٨، ونور مصالحة : إسرائيل وسياسة النفي .

٤ـ ناهض زقوت : جدلية الاختلاف في تعداد اللاجئين الفلسطينيين . ص ١٠٩

٥ـ عارف العارف : نكبة فلسطين والفردوس المفقود . المجلد السادس . ص ٧ ـ ١١.

٦ـ خليل بيدس : الوارث . ص ٦ ، ١٣، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٧٠ ، ٨٤ .

٧ـ اسحق موسى الحسيني . مذكرات دجاجة . ص ٦٩.

٨ـ المرجع السابق . ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

٩ـ السابق . ص ١٣٩.

١٠ـ ناهض زقوت : ذات ـ الرؤية والتشكيل ، مقاربة بنيوية تكوينية . ص ١٥.

١١ـ ناهض زقوت : انعكاس الإرهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية . ص ٦.

١٢ـ المرجع السابق . ص ١٣ ـ ١٤.

١٣ـ ناهض زقوت : إنتاجية الرواية الفلسطينية . فصل الببلوغرافيا . (دراسة غير منشورة)

١٤ـ للمزيد حول الموضوع انظر :

ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث .

ـ مسعود بويصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن .

ـ السيد ياسين . ود. على الدين هلال : الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين (جزءان) .

١٥ـ حسن سامي يوسف : الزورق . ص ١٧.

١٦ـ أميل حبيبي : المتشائل . ص ١٠٩.

١٧ـ حسن سامي يوسف . الفلسطيني . ص ٢٤.

١٨ـ غسان كنفاني . عائد إلى حيفا . ص ١٦.

١٩ـ السابق . ص ١٩ ـ ٢١.

٢٠ـ سلمان أبو ستة : حق العودة . ص ١٢ ـ ١٥. وانظر كذلك ، ناهض زقوت : المذابح الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني . ص ٦ ـ ١٢.

٢١ـ الفلسطيني . مرجع سابق . ص ٣٤.

٢٢ـ السابق . ص ١٠٧.

٢٣ـ زيد أبو العلا : الخروج من وادي السلامة . ص ٢٠ ـ ٢١.

٢٤ـ احمد عمر شاهين : الآخرون . ص ١٠ ـ ١٢.

٢٥ـ احمد عمر شاهين : بيت للرجم بيت للصلاة . ص ١٠.

٢٦ـ للمزيد حول موضوع القرى المدمرة ، انظر :

ـ وليد الخالدي : كي لا ننسى ، قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨.

ـ المركز القومي للدراسات والتوثيق : ذاكرة فلسطين . ١٩٩٨، ٢٠٠٠، ٢٠٠٦.

٢٧ـ المتشائل . مرجع سابق . ص ٨٠ ، ولمعرفة أسماء القرى انظر الرواية ص٨١ ، ١٠١.

٢٨ـ سميح القاسم : الصورة الأخيرة في الألبوم . ص ٣١.

٢٩ـ حق العودة . مرجع سابق . ص ١٠.

٣٠ـ ناصر الدين النشاشيبي : حفنة رمال . ص ١١.

٣١ـ عائد إلى حيفا . مرجع سابق . ص ١٤ ـ ١٥.

٣٢ـ الفلسطيني . مرجع سابق . ص ٢٩.

٣٣ـ السابق . ص ٣٢.

٣٤ـ المتشائل . مرجع سابق . ص ٧٠.

٣٥ـ الفلسطيني . مرجع سابق . ص ٢٤ ـ ٢٥.

٣٦ـ أميل حبيبي : السداسية . ص ٨ ـ ٩.

٣٧ـ عدنان عمامة : طبرصف والزينبية . ص ٤٠.

٣٨ـ الخروج من وادي السلامة . مرجع سابق . ص ٣١.

٣٩ـ السابق . ص ٣٦.

٤٠ـ بيت للرجم بيت للصلاة . مرجع سابق . ص ٥٩ ـ ٦٠.

٤١ـ السابق . ص ٦٠ ـ ٦١.

٤٢ـ الزورق . مرجع سابق . ص ٣٨.

٤٣ـ غريب عسقلاني . الطوق . ص ١٤.

٤٤ـ عبد الله تايه : التين الشوكي ينضج قريبا . ص ٤٣.

٤٥ـ الطوق . مرجع سابق . ص ٣٩.

٤٦ـ السابق . ص ٣٨.

٤٧ـ عوني مصطفى : شقاء إلى الأبد . المطبعة العصرية . بيروت ١٩٦٢.

٤٨ـ عبد الله تايه : الذين يبحثون عن الشمس . ص ٢٦ ـ ٢٧ ، وص ٧٧ ـ ٧٨.

٤٩ـ السابق . ص ٤٩ ـ ٥٠ ، وص ٥٤.

٥٠ـ السابق . ص ١٥ ـ ١٨ ، وص ٣١ ـ ٣٢.

٥١ـ السابق . ص ١٣ ـ ١٤ ، وص ٢٠ ـ ٢١.

٥٢ـ السابق . ص ٢٢.

٥٣ـ السابق . ص ٢٥.

٥٤ـ المتشائل . مرجع سابق . ص ٦٩، ١٠٠، ١٧٥، ١٧٨.

٥٥ـ أميل حبيبي : أخطية . ص ١٨، ٦٨، ٨٧.

٥٦ـ جبرا إبراهيم جبرا : البحث عن وليد مسعود . ص ٢٥٩.

٥٧ـ للمزيد حمل الموضوع انظر ، ميرون بنفيستي : المشهد المقدس . ص ٣٣ ـ ٨٣.

٥٨ـ المتشائل . مرجع سابق . ص ٧٤ ـ ٧٥ ، وص ٨٥.

٥٩ـ الآخرون . مرجع سابق . ص ٢٣.

٦٠ـ حفنة رمال . مرجع سابق . ص ١٧.

٦١ـ الآخرون . مرجع سابق . ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

٦٢ـ نبيل خوري : ثلاثية فلسطين (القناع) . ص ٢١٧.

٦٣ـ السابق . ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

المصادر والمراجع

أولا : الروايات

١ـ أحمد عمر شاهين : الآخرون . دائرة الثقافة في (منظمة التحرير الفلسطينية) ، ومؤسسة العروبة للطباعة والنشر . الطبعة الأولى . القاهرة ١٩٨٩.

٢ـ أحمد عمر شاهين : بيت للرجم بيت للصلاة . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٩ .

٣ـ اسحق موسى الحسيني : مذكرات دجاجة . دار المعارف ، سلسلة اقرأ رقم (٨) . القاهرة ١٩٤٣.

٤ـ أميل حبيبي : سداسية الأيام الستة ، المتشائل ، وقصص أخرى . دائرة الثقافة في (منظمة التحرير الفلسطينية) ، ودار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٩

٥ـ جبرا إبراهيم جبرا : البحث عن وليد مسعود . دائرة الثقافة في (منظمة التحرير الفلسطينية) ، ودار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٩

٦ـ حسن يوسف : الفلسطيني . دائرة الثقافة في (منظمة التحرير الفلسطينية) ، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

٧ـ حسن يوسف : الزورق . دائرة الثقافة في (منظمة التحرير الفلسطينية) ، ودار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٩٠ .

٨ـ خليل بيدس : الوارث . دار الأيتام السورية . الطبعة الأولى . القدس ١٩٢٠.

٩ـ زيد أبو العلا : الخروج من وادي السلامة . جماعة الإبداع الثقافي . الطبعة الأولى . غزة ١٩٩٨.

١٠ـ سميح القاسم : الصورة الأخيرة في الألبوم . دار ابن خلدون . الطبعة الأولى . بيروت ١٩٨٠.

١١ـ عبد الله تايه : الذين يبحثون عن الشمس : وكالة أبو عرفة للصحافة . الطبعة الأولى . القدس ١٩٧٩.

١٢ـ عبد الله تايه : التين الشوكي ينضج قريبا : منشورات البيادر . الطبعة الأولى . القدس . ١٩٨٣.

١٣ـ عدنان عمامة : طبرصف والزينبية . دار الأهالي للطباعة والنشر . الطبعة الأولى . دمشق ١٩٨٨.

١٤ـ عوني مصطفى : شقاء إلى الأبد . المطبعة العصرية . الطبعة الأولى . صيدا / بيروت ١٩٦٢.

١٥ـ غسان كنفاني : عائد إلى حيفا . منشورات صلاح الدين . الطبعة الأولى . القدس ١٩٦٧.
١٦ـ غريب عسقلاني : الطوق . منشورات دار الكاتب . الطبعة الأولى . القدس ١٩٧٩.
١٧ـ ناصر الدين النشاشيبي : حفنة رمال . منشورات دار الوعد . بيروت ١٩٦٥.
١٨ـ نبيل خوري : ثلاثية فلسطين (القناع) . دار الشروق ، بيروت ١٩٧٤.

ثانيا : الكتب والدراسات :

١٩ـ إبراهيم طوقان : ديوان إبراهيم طوقان . مكتبة المحتسب . دار المسيرة . عمان ، بيروت ١٩٨٤.
٢٠ـ إبراهيم عبد الكريم : تهجير العرب من فلسطين في التفكير الصهيوني قبل عام ١٩٤٨. التجمع الشعبي الفلسطيني للدفاع عن حق العودة . غزة ٢٠٠٧.
٢١ـ السيد ياسين ، ود. علي الدين هلال (إشراف) : الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين (جزءان) . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٥.
٢٢ـ سلمان أبو ستة (دكتور) : حق العودة . المركز القومي للدراسات والتوثيق . سلسلة إصدارات سياسية (١) . يناير ١٩٩٩ ـ غزة .
٢٣ـ عارف العارف : نكبة فلسطين والفردوس المفقود (ستة مجلدات) . المجلد السادس . منشورات دار الهدى . كفر قرع (د. ت) .
٢٤ـ عبد الرحيم محمود شاعرا ومقاتلا ، في الذكرى الخمسين لاستشهاده . مؤسسة توفيق زياد للثقافة الوطنية والإبداع . الناصرة ١٩٩٨.
٢٥ـ عبد الوهاب الكيالي (دكتور) : تاريخ فلسطين الحديث . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الثامنة . بيروت ١٩٨١.
٢٦ـ صالح مسعود بويصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن . دار البيادر للنشر والتوزيع . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٨٧.
٢٧ـ ميرون بنفيستي : المشهد المقدس ، طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ عام ١٩٤٨. ترجمة : د. سامي مسلم . المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) . رام الله ٢٠٠١.
٢٨ـ المركز القومي للدراسات والتوثيق : ذاكرة فلسطين . للأعوام ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٦. غزة
٢٩ـ نور مصالحة (دكتور) : إسرائيل وسياسة النفي ، الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون . ترجمة : عزت الغزاوي . المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) . رام الله ٢٠٠٣.

٣٠ـ ناهض زقوت : انعكاس الإرهاب الصهيوني على الرواية الفلسطينية . اتحاد الكتاب الفلسطينيين . غزة ٢٠٠٢.

٣١ـ ناهض زقوت : ذات ـ الرؤية والتشكيل ، مقاربة بنيوية تكوينية . سلسلة إبداعات فلسطينية رقم (١٠) بالتعاون مع اتحاد الكتاب الفلسطينيين . غزة ٢٠٠٥.

٣٢ـ ناهض زقوت : إنتاجية الرواية الفلسطينية . فصل الببلوغرافيا . دراسة غير منشورة .

٣٣ـ ناهض زقوت : جدلية الاختلاف في تعداد اللاجئين الفلسطينيين . مجلة رؤية . تصدر عن الهيئة العامة للاستعلامات . العدد العاشر . تموز ٢٠٠١. غزة

٣٤ـ ناهض زقوت : المذابح الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، دراسة توثيقية . ضمن أوراق عمل الندوة السياسية "المذابح الصهيونية ... رؤية وتحليل" . منشورة في نشرة منبر العودة ، الصادرة عن التجمع الشعبي الفلسطيني للدفاع عن حق العودة . العدد الأول ، نوفمبر ٢٠٠٦ . غزة .

٣٥ـ وليد الخالدي : كي لا ننسى ، قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها . مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ١٩٩٧.

*****

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.